

اسم المادة : تاريخ العرب قبل الإسلام

اسم المحاضرة: دولة الحضرة

الموقع: تقع في منطقة الجزيرة وتبعد عن مدينة الموصل بحوالي ١١٠ كم الى الجنوب الغربي منها، ولايتوافر فيها الماء الجاري لبعدها عن دجلة والفرات اذ تعتمد مياة الابار والامطار في سقي المزروعات ومياه الشرب تحيط بالمدينة اراض مرتفعة فتظهر الحضرة وكانها منخفض تصب فيه سيول الامطار.

١. ويبدو ان ابناء القبائل العربية الذين استوطنوا في منطقة الحضرة بسبب توافر الماء والمرعي قد اخذوا يزسعون هذه القرية فانشاء بيتا للاصنام يقدمون فيه نذورهم ويحجون اليه في اعيادهم.

٢. عامل الموقع والمناخ: حيث استفادت الحضرة من موقعها على استقرار القبائل العربية على طريق التجارة الدولية بين الشرق والغرب فاصبحت مدينة من مدن القوافل شأنها شأن (بطرا وتدمر) كان سكانها يحمون القوافل ويوفرون ما تحتاجه القوافل من خدمات.

٣. عامل السياسة والحرب: استفادت الحضرة من ظروف الصراع السياسي التي كانت قائمة بين دول المنطقة فاخذت تتمتع بنوع من الاستقلالية وتقوم بدور الدولة الحاجزة بين الاطراف المتصارعة بحكم علاقاتها الواسعة مع القبائل العربية في العراق والشام.

لذلك فان اهميتها العسكرية قد برزت في الدفاع عن الامبراطورية الفرثية منذ الحروب التي دارت في اسيا الصغرى مع الرومان زمن الملك الفرثي افراط الثالث (٦٩-٥٧ ق.م) وابنه وورد الثاني (٥٧-٣٦ ق.م) ومنذ ذلك الحين استمر خطر الرومان طيلة العصر الفرثي ونتيجة لذلك برزت اهمية القبائل العربية التي اصبحت الحضرة اكبر مركزها كقوة عسكرية اساسية يحسب لها الحساب في الدفاع والهجوم.

اطوار تطور مدينة الحضرة:

١. دورا لتكوين: بروت الحضرة على مسرح التاريخ بسبب الظروف التي قدمنا ذكرها منذ منتصف القرن الاول للميلاد، كانت السلطة

في هذا الدور موزعة بين شيوخ القبائل الذي يطلق على احدهم وصف (ربا) أي الزعيم او الشيخ. وبين سنة المعبد الذي كان يطلق عليهم (رب-بيتا) أي صاحب البيت يشاركهم قادة الجيش وارباب القوافل.

ان الامور العامة كانت تناقش في اجتماعات عامة يحضرها ذوي الحسب والنسب والنفوذ في المدينة و احيانا جميع اهل المدينة.

٢. دور السادة: امتد هذا الدور لمدة قرن تقريبا من منتصف القرن الاول للميلاد حكم الحضرة فيها ستة رجال بالتعاقب من اسرة

واحدة وهم: (شهرب الاول، ورورد، نصرو، شهرب الثاني، معنو، ولجش) وحمل هؤلاء الحكم صفة (مريا) أي السيد كما اطلق على ولجش السيد بعد توليه الحكم بثلاث سنوات لقب الملك واستمر الحكم في هذه الاسرة بعد ان تحول الى الملكية في الدور- اللاحق ومارس السادة- الملوك، جميع السلطات السياسية والادارية والدينية من ابرز سمات هذه الفترة زيادة حدة الصراع بين الامبراطورية الرومانية والتي بسطت نفوذها على سوريا ومصر، والامبراطور الفرثية التي سيطرت على بلاد وادي الرافدين.

٣. دور الملوك: يتداخل هذا الدور مع الدور الذي سبقه لان ولجش الذي تلقب خلال السنوات الثلاث الاولى من حكمه بلقب السيد

ثم اتخذ لنفسه لقب ملك بعد ذلك وقد بدا دور الملوك في منتصف القرن الثاني الميلادي واستمر حتى سنة (٢٤١ م) حينما تمكن الملك الساساني (شاهبور) من احتلال مدينة الحضرة حكم خلال هذه الفترة التي تقل عن مائة عام اربعة ملوك على التوالي:

ولجش، سنطروق الاول (١٦٥-١٩٠ م) وهو اخو الملك ولجش، والملك عبد سيما (١٩٠-٢٠٠) وهو ابن سنطروق الاول، سنطروق الثاني (٢٠٠-٢٤١ م) وهو ابن عبد سيما.

الحياة الاقتصادية:

لم تكن الموارد الزراعية او الثروة الحيوانية هي العامل الاساس في الحياة الاقتصادية وذلك لان الحضرة تقع في بوادي تقل فيها المياه ومن ثم لم تساعد الواردات الزراعية في رعد الحياة الاقتصادية الا في مرحلة متاخرة حينما فرضت سيطرتها على شمال الجزيرة يشمل مناطق زراعية مثل (سنجار وتلعفر) وتستدل من كثرة المعابد ان المدينة كانت مركزا دينيا مقدساً للعبادة عند عرب الجزيرة مما اتاح لها موردا جيدا بسبب ما ينفقه زوار المدينة من اموال على شكل نذور وهدايا للمعابد.

اما العامل الاساسي الذي قام عليه اقتصاد الحضرة هو وقوعها على طريق للتجارة الدولية بين الشرق والغرب واشتعال اهلها في تجارة القوافل سواء كان ذلك عن طريق تقديم الخدمات او توفير الاداء والحماية لها او المساهمة فيها وتبادل السلع والبضائع مع اصحابها.

وقد كان التجار في الحضرة يتمتعون بمنزله رفيعة في المجتمع الحضري وعثر على تماثيل لتجار واصحاب قوافل في معابد الحضرة وكان التاجر يظهر في التمثال وبيده اليسرى كيس الدراهم وبده اليمى مرفوعة للتحية اما اصحاب القافلة فكان يظهر بملابس الفرسان وبيده اليسرى كيس دراهم ملفوف وعلى جنبه الايمن خنجر.

قامت في الحضرة عدة حرف كالمهندسة والبناء والنحت والحداة والنجارة والصيدلة والطب وكان لاصحاب هذه المهن اهمية وكانه في المدينة ونشأت بعض الوظائف ذات الصلة بالدولة وادارتها كالمملك والسيد والزعيم ورئي الكهنة والكهنة والكتاب وقادة الجيش والفرسان وحامل العلم والمحاربين.

الحياة الاجتماعية:

كانت الحياة الاجتماعية متأثرة بالظروف الاقتصادية والسياسية والثقافية فالتركيب الاجتماعي يقوم على القبيلة والعشيرة والعائلة اعتنى اهل الحضرة بانسابهم فكان الشخص يذكر اسمه واسم ابيه وجده ووالد جده احيانا وربما ستة اجداد وهذا دليل على عربيتهم فالمعروف عن العرب انهم يعتنون بالنسب اكثر من عناية غيرهم به.

وعلى الرغم من ان غالب سكان الحضرة من العرب حيث ان الملوك وضعوا امام اسمائهم صفة ملك العرب او ملك العرب المظفر الا ان هذا لايعني ان جميع يونانية ورومانية وفارسية لان الحضرة كانت مدينة تجارية فكان من الطبيعي ان تعيش فيها جاليات اجنبية. وكان الناس منقسمون الى احرار ورقيق وان الاحرار ينقسمون الى نبلاء من اصحاب الثروة او السلطان السياسي او الديني وعامة من اصحاب الحرف والجنود والاعراب.

الحياة الثقافية:

تدل الآثار المكتشفة في الحضرة على أن الحياة الثقافية كانت على قدر كبير من التطور وبخاصة في مجال العمارة والفنون والدين ولكن لم تصل ألينا نقوش تساعدنا على التعرف على الحياة الفكرية والأدبية في الحضرة.

كان الخط الآرامي هو الخط الذي يكتب به أهل الحضرة لكونها أي اللغة الآرامية هي اللغة السائدة آنذاك في مجال التدوين والمراسلة لسهولة حروفها الهجائية لذلك فان النتاج الفكري والأدبي لأهل الحضرة كان قد كتب بالآرامية وأصبح جزءا من تراثها مما يتطلب البحث عن أصوله ضمن التراث الآرامي.

الحياة الدينية:

كانت الديانة تمثل الموقع الأساسي في ثقافة أهل الحضرة وحياتهم وكان اكبر الآلهة وسيدها(اله الشمس) فشيّدوا له اكبر المعابد وعدوا مدينتهم ملكا له لذلك ضربوا على نفوذهم عبارة(الحضرة مدينة الشمس) فالشمس من اشهر المعبودات عند الاقوام العربية القديمة، واصبح معبد الشمس في الحضرة مركز النشاط الديني والاجتماعي ليس للحضرة وحدهم بل لجميع سكان الجزيرة يحج اليه الناس من مشافات بعيدة ويقدمون نذورهم.

ولاله الشمس زوجة اطلقوا عليها(مرتن) أي سيدتنا وان لهذين الزوجين ولد اطلقوا عليه اسم(برمرين) أي ابن سيدنا على هئية شاب قوي لذلك فان عقيدة اهل الحضرة قامت على عقيدة التثليل فعبدوا الاب والام والابن وهذه الصورة من العبادة عرفت عند العراقيين القدماء وعلى اشكال مختلفة نحو عبادتهم للشمس والقمر(سن) والزهرة(عشتار) والتثليل غير الثالث لانه الاخير هو عبادة ثلاثة الهة مندمجة في اله واحد.

كما عبد اهل الحضرة غير هذه الاله مثل(اللات) ومجموعة مكونة من سبعة الهه تمثل الكواكب الخمسة المعروفة لديهم والشمس والقمر.

المصدر: د . صالح احمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، بغداد ، ١٩٦٧ .